ALDEBAL, BIANNUAL, PEER REVIEWS ACADEMIC RESEARCH JOURNAL
Vol. 9, No. 1 || January -June 2025|| P. 31-62
ISSN: 2415-5500
الديبل (يناير– يونيو 2025ء)

دور السياق اللغُوي في تحديد المعني المراد من الحديث النبوي

THE ROLE OF LINGUISTIC CONTEXT IN DETERMINING THE INTENDED MEANING OF THE HADITH

د. خالد بريمة يوسف مرجب*

Abstract:

The language of Prophetic Hadiths is characterized by eloquence, clarity, and rhetorical excellence. This is evident in the linguistic contexts in which the sayings of the Prophet (peace be upon him) were conveyed. This study, titled "The Role of Linguistic Context in Determining the Intended Meaning of Prophetic Hadith," aims to explore these refined and elevated linguistic contexts and uncover the meanings and implications embedded within the Hadiths. The study examines selected Hadiths through explanation and analysis using the inductive-analytical method. After thorough study and examination, the research reached several key findings, the most significant of which is that context, in its various forms, plays a crucial role in understanding the intended meaning of Hadith. The meanings are derived from the contexts in which they appear. Despite the abundance of studies on Prophetic Hadiths, this study recommends conducting further linguistic research on the language of Hadiths. Their language serves as a rich and pure source for enhancing both linguistic and legislative knowledge through linguistic studies and jurisprudential research.

Keywords: *Linguistic Context – Prophetic Hadith – Intended Meaning.*

* أستاذ علم اللغة المشارك – كلية التربية,جامعة غرب كردفان – السودان

الكلمات المفتاحية : السياق اللغُوي ,الحديث النبوي , المعنى المراد .

المستخلص:

اتسمت الأحاديث النبوية في لغتها بالفصاحة والبلاغة والبيان ، وقد دلت على ذلك السياقات اللغوية التي وردت فيها أحاديثه صلى الله عليه وسلم ، فجاءت هذه الدراسة الموسومة بعنوان دور السياق اللغُوي في تحديد المعني المراد من الحديث النبوي بهدف سبر أغوار هذه السياقات اللغوية الرفيعة السامية ومعرفة ما اشتملت عليه من دلالات على معاني ومرامي تلك الأحاديث النبوية.

وقد تناولت الدراسة نماذجَ من الأحاديث النبوية بالدراسة والشرح والتحليل عن طريق المنهج الاستقرائي التحليلي، وبعد الدراسة والتحليل تمكنت الدراسة من الوصول إلى عدة نتائج ، أهمها : للسياق ا بمختلف أنواعه أهميةً كبرى في فهم المعني المراد في الحديث النبوي ، فالمعاني تستوحي من السياقات الواردة فيها.

وعلى الرغُم من كثرة الدراسات في رحاب الأحاديث النبوية أوصت الدراسة بإجراء المزيد من البحوث اللغوية في لغة الأحاديث النبوية ، فلغتها بمثابة المنهل العذب والمصدر الخصب لزيادة الرصيد اللغوي والتشريعي عن طريق البحوث اللغوية والدراسات التشريعية .

المقدمة:

تعددت الدراسات اللغوية في العصر الحديث في مجال السياق اللغوي وذلك لأهمية السياق اللغُوي قي الدلالة على المعاني المقصودة من الكلام، ويعتبر السياق اللغوي بمثابة حجر الأساس في علم المعاني.

فالمعنى الذي يقدمه السياق اللغُوي قد يتطابق مع المعنى المعجمي للكلمات

المنظومة في السياق وقد يختلف، فكل كلمة من الكلمات لها العديد من المعاني المعجمية، ولكن عندما ترد في سياق لغوي تتخلص من جميع هذا المعاني ويصير لها معنى واحد يدل عليه السياق الوارده فيه ، هذا المعنى الواحد له حدود واضحة وسمات محدده رسمها ووضحها السياق لا تسمح للمعني بالتعدد ، أو الاشتراك أو التعميم.

وقد جاءت هذه الدراسة في رحاب الأحاديث النبوية التي تعد المصدر الثاني من مصادر اللغة بعد القرآن الكريم لتسلط الضوء على دور السياق اللغوي في فهم مقاصد ومرامي الحديث النبوي مع الإشارة إلى سياق المقام في ثنايا دور السياق اللغوي في فهم المعني المراد ، فالسياق في أحاديثه صلى الله عليه وسلم مظهر من مظاهر بلاغته (ص)، فقد استطاع (ص) عن طريق السياق اللغوي أن يبرز المعاني المرادة في احاديثه كصور حسية شاخصة وماثلة للعيان يمكن أن تدركها العقول وتتقبلها النفوس في سهولة ويسر فألفاظه (ص) موجزة ومعبرة وجلية وظاهرة تحمل في طياتها معانيها.

سبب اختيار الموضوع :-

الحديث النبوي مورد عذب من موارد اللغة، وبحاجة ماسة إلى المزيد الدراسات اللغوية لسبر أغواره واستدراك كنهه، واستجلاء جمال ألفاظه ودقة معانيه ، و ما يكسو سياقه من وجوه الحسن والجمال ،وهذا ما دعاني إلى القيام بهذه الدراسة لإبراز دور السياق اللغوي في فهم المعنى المقصود من الحديث النبوي.

مشكلة الدراسة:-

انطلقت الدراسة من مشكلة مفادها : فهم معاني الأحاديث النبوية بعيداً

عن سياقاتها التي وردت فيها قد يؤدي إلى عدم ادراك المعني المراد وقد يقود ذلك الفهم المغلوط في بعض الاحيان إلى الخلل في العقيدة ، خاصة في حال فهم الأحاديث التي وردت فيها صفات الله عز وجل فهماً معجمياً بعيداً عن سياقاتها اللغوية التي وردت فيه، فالسياق اللغوي هو الركن الأساس في فهم الأحاديث النبوية وادراك معانيها إدراكاً سليماً. أهداف الدراسة:-

هدفت الدراسة إلى الآتي :-

1-النعريف بالسياق اللغوي وبيان دوره في فهم معاني الحديث النبوي

2-ربط الدراسات اللغوية بالأحاديث النبوية التي تعد المصدر الثاني للغة العربية

3-الوقوف على الأسرار اللغوية المتمثلة في :(عذوبة الألفاظ ، جمال المعاني، حلاوة السبك، وبراعة النظم في أحاديثه صلى الله عليه وسلم).

4-اظهار بلاغته (ص) التي تعد معجزة من معجزات نبوته.

5- التأكيد على ضرورة فهم دلالات ومرامي الأحاديث النبوية وفق سياقاتها اللغوية.

أهمية الدراسة:-

تستمد الدراسة أهميتها من أنها تناولت دور السياق اللغوي في فهم معاني الأحاديث النبوية فهماً سليماً وفق سياقاتها اللغوية، فالسياق اللغوي هو الركن الأساس في الدلالة على المعنى المراد في الحديث النبوي الذي اتسم بسمو البلاغة ورفيع البيان.

فالدراسات اللغوية في رحاب الأحاديث النبوية قليلة مقارنة بالدراسات التي تناولت ، بيان غريب الحديث ،إعراب الحديث بالإضافة إلى بعض الدراسات البلاغية في الأحاديث النبوية، أما الدراسات اللغوية المحضة

فهي قليلة، لذا جاءت هذه الدراسة اللغوية في بنية الأحاديث النبوية كإضافة للمكتبة اللغوية والشرعية.

منهج الدراسة:-

اعتمدت الدراسة على المنهج الاستقرائي التحليلي فهو الأنسب لمثل هذه الدراسة، حيث تم عرض بعض النماذج من الأحاديث النبوية وتحليلها وصولاً للنتائج المتمثلة في بيان دور السياق في فهم المعنى المراد، ومن خلال التحليل تم استبعاد جميع المعاني المعجمية والإبقاء على المعنى الواحد الذي يدل عليه السياق.

السياق اللغوي :-

تعريف السياق لغةً :-

أصل كلمة سياق في اللغة هو (سواق) فقلبت الواو ياءً لسكونها وكسر السين قبلها فصارت سياقاً ، والجذر اللغوي (س، و، ق) أصل مطرد في اللغة ويعني حدو الشيء ،فيقال : اتساقت الأبل وتساوقت إذا تتابعت ،والمصدر هو (المساوقة) ،والمساوقة هي المتابعة ،أي كأن بعضها يسوق بعضاً [1].

وجاء في معجم أساس البلاغة للزمخشري في شأن (ساق) : يسوق الحديث أحسن سياق ،ويقال : إليك يساق الحديث ،وهذا الكلام ساقه إلى كذا ،وجئتك بالحديث على سوقه : أي على سرده.[2]

[1] - -ابن منظور، محمد بن مكرم أبو الفضل جمال الدين / لسان العرب.-ط3.- بيروت : دار صادر، 1414 ،(6/435).

[2]- الزمخشري ، جاه الله أبي القاسم محمود بن عمر / أساس البلاغة .- بيروت : دار صادر ، 1430،(فصل/ساق)

وقد جاءت كلمة سياق في جميع المعاجم والقواميس العربية بمعني التتابع والسرد ، وسياق الكلمات يعني تتابعها وسردها في الجملة أو العبارة .

تعريف السياق اللغوي اصطلاحاً :-

يعرف السياق اللغوي اصطلاحاً بأنه :البنية اللغوية (linugstic Context)

التي تحيط ب-(الصوت ، الفونيم ،الكلمة ،العبارة ، أو الجملة) [3] ، ومن خلال هذه البنية أو السياق اللغوي يفهم المعنى المراد من الكلمة .

وعن طريق السياق يكون للكلمة معنًى واحد من كل معانيها المعجمية وهذا المعنى المحدد بالسياق يجب أن يتناسب ومعاني الكلمات الأخرى (السابقة واللاحقة) التي يحو يها السياق ،والسياق ما هو إلا حصيلة استعمال مجموعة كلمات داخل نظام لغوي متماسك ومترابط من حيث الألفاظ والمعاني ،فكما تتناسب ألفاظه وتتشابك ، يجب أن تتعانق المعاني وتتساوق أيضاً ،في تناغم وانسجام فلا يشذ معنى أي من الكلمات عن معاني الكلمات الأخرى في السياق.

وإلي جانب دور السياق اللغوي في تحديد المعنى من خلال السياق ، هناك ما يعرف بالسياق غير اللغوي (سياق المقام أو سياق الحال) له أيضاً دور في تجسيد المعنى وتشخيصه لأن المعنى دوماً يتناسب وطبيعة الأحداث التي قيل فيها الكلام.

السياق غير اللغوي :-

[3]- الخولي ، محمد علي الخولي / معجم علم اللغة النظري .- بيروت : مكتبة لبنان ،1430هـ .ص156.

يعرف بأنه :مسرح اللغة، السياق العام ،أو سياق المقام ،وإلى غير ذلك من المسميات والتي تعني مجموعة الظروف التي تحيط بالحدث الكلامي وتشمل هذه الظروف :(الأعراف ، والتقاليد ،الجوانب الاجتماعية ،التأريخ ، الثقافة ، وغيرها)فهذه الظروف مع إنها غير لغوية لكن لها دور في تحديد المعنى وهو ما يعرف (المعني الحضوري) للكلمة لحظة الحدث الكلامي .[4]

عناصر السياق : يقتضي السياق ثلاثة عناصر تتمثل في :-

1-عنصر ذاتي : ويقصد به معتقدات المتكلم ومقاصده واهتمامه .

2-عنصر موضوعي : ويعني الظروف الزمانية والمكانية التي يتم فيها القول

3-عنصر ذواتي : ويقصد به المعرفة المشتركة بين المتخاطبين والتي تتمثل في : (المعرفة الاجتماعية ، المعرفة الثقافية ، المعرفة التراثية ،.....الخ).

وتتضافر جميع هذه العناصر مجتمعة في السياق لتحدد المعني المراد الذي يقصده المتكلم ، ووفق العناصر هذه أيضاً يتحدد معناه في أذهان المتلقين ، فلا غنى عن أي عنصر من هذه العناصر في تحديد المعنى المراد في السياق اللغوي ،قال ابن القيم:(والألفاظ لم تقصد لذواتها ،وإنما هي أدلة يستدل بها على مراد المتكلم ، فاذا ظهر مراده ووضح بأي طريقة كان العمل بمقتضاه .....)[5] . فعن طريق عنصر واحد من هذه العناصر قد يحدد المعنى المراد في الكلام ، أو عن طريق اثنين منها ،أو عن طريقها مجتمعة .

[4] - فندريس ،/ للغة ،ترجمة عبد الرحمن الدواخلي ، و محمد القصاص - القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، 1950.ص 231

[5] - ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب / إعلام الموقعين عن رب العالمين ،تحقيق محمد عبد السلام هارون .- بيروت : دار الكتب العلمية ،1411هـ-1991م . ص177.

فاللغة في مجملها عبارة عن نظام متماسك بنيوياً عبر ألفاظه ومعانيه على مستوي السياق اللغوي ، فالألفاظ تحمل دلالات معانيها سياقياً ، كما أن معاني الألفاظ تتنوع وتتعدد تبعاً لتعدد وتنوع سياقاتها التي ترد فيها ،ومن تلك السياقات نجد :(سياق الموقف ،السياق العاطفي ،السياق الثقافي ،..... الخ) من أنواع السياقات .

هذا الاهتمام المتعاظم بأمر السياق من قبل اللغويين العرب في التراث العربي القديم أثمر حديثاً عن نظرية السياق في التراث اللغوي الغربي على يد عالم اللغة الغربي (فيرث)

نظرية السياق :-

اهتم علماء اللغة العرب في العصور السابقة بالسياق اللغوي ، وقد ظهرت العديد من الدراسات اللغوية في هذا الجانب .[6] ،وذلك لأهمية السياق في فهم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وتقف جهود سيبويه وابن جني والجاحظ خير شاهد على ذلك الجهد المهول في دراسة السياق قديماً ،وقد بلغت تلك الجهود قمتها عند الجرجاني الذي أفاض في دراسة السياق وجاء بنظرية النظم التي بناها على أساس :(....أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب ، حتى يعلق بعضها ببعض ،ويبني بعضها على بعض ،وتجعل هذه بسبب تلك ،هذا مالا يجهله عاقل ولا يخفى على أحدٍ من الناس) [7] وعن طريق نظرية النظم التي جاء بها الجرجاني قلت حدة الصراع القائم بين

[6] - السعران ، محمود السعران ،/ علم اللغة مقدمة للقارئ العربي.-ط2 .- القاهرة : دار الفكر العربي ، ،1997م .ص38

[7] - الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني/ دلائل الإعجاز .- ط3.- جدة : مطبعة المدني : دار المدني ، ،1412هـ. ص 45.

علماء اللغة وقتذاك في أيهما أفضل ؟ اللفظ أم المعنى ؟ فقد حكمت هذه النظرية بأن الأفضلية للنظم القائم على سبك اللفظ والمعنى معاً ، فاللغة عند الجرجاني :(لفظ حامل ،ومعنى قائم ،ورباط ناظم) [8] .

فعندما يتحدث الإنسان بألفاظ ، تكون لهذه الألفاظ دلالات يفهمها المتلقي كما يريد القائل من خلال سياق الكلام دون النظر إلى معانيها المعجمية المتعددة التي تشير إليها وهي من دون سياق ،فالسياق الذي استخدمت فيه هذه الكلمات هو الأهم في تحديد معانيها ،وقد أشار فيرث في نظرية السياق إلى ذلك حيث قال : (إنه لم يعد ينظر إلى الكلمات باعتبارها وحدات معجمية تشغل مواقع نحوية محدده ، وإنما إلى شروط استخدامها في تلاؤمٍ وانسجامٍ مع الكلمات الأخرى الواردة في النص) [9]

وعلى أساس الجهود اللغوية المتنوعة التي بذلها علماء اللغة في رحاب دراسة السياق وما قال به الجرجاني في شأن النظم بني فيرث نظريته (نظرية السياق) التي تقوم على أهمية دور السياق في تحديد المعنى المراد من بين المعاني المعجمية المتعددة للكلمة ،(معظم الوحدات الدلالية تقع مجاورة وحدات أخري)[10]، فالكلمة المفردة لها معنى خاص ولكن إذا وردت في سياقٍ لغويٍ يكون معناها من صميم المعني العام لذلك السياق الواردة فيه.

[8] - الجرجاني، دلائل الإعجاز ،مصدر سابق .ص 81

[9]- عبد الفتاح بركاوي / دلالة بين التراث وعلم اللغة الحديث .-سوريا : دار المعارف للطباعة والنشر والتوزيع ، 1991م .ص 53.

[10]- صبحي إبراهيم الفقي / علم اللغة بين النظرية والنطبيق : دراسة تطبيقية علي السور المكية .- السعودية : دار قبا ،2000م .ص105 .

وقد أكدت نظرية السياق : إن تحديد دلالة الكلمة ومعرفة معناها يعتمد على تحديد دلالة السياق لذلك المعنى بعيداً عن دلالة المعني المعجمي، فاللغة نظام متماسك الألفاظ ومتشابك المعاني ،فيه تتضافر الألفاظ في السياق لتشكل المعاني، وهذا ما قال به علماء اللغة قديماً في دراستهم للسياق ،وما أشار إليه الجرجاني عند حديثه عن دور النظم ، وما بني عليه فيرث نظرية السياق ، فلا غني عن السياق اللغوي والسياق غير اللغوي في تحديد المعني المراد الذي يقصده المتكلم .

الحديث النبوي :-

هو كلام النبي صلّى الله عليه وسلم ، الموصوف بِجزالة الألفاظ وعميق المعاني ،فأحاديثه صلى الله عليه وسلم لم تترك معنًى من معاني الحياة أو العقيدة أو التشريع أو الخلق إلا وقد دعت إليه بألفاظ دالة على معانٍ واضحة وملموسة وعن طريق أساليب لغوية غاية في البلاغة والفصاحة والبيان.

فأحاديثه صلى الله عليه وسلم حازت على البلاغة من كل جوانبها وقد شهد له بذلك أئمة اللغة والبلاغة عبر العصور المختلفة ،ومن أولئك نجد الجاحظ الذي وصف منطقه بقوله: (هو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه ،وجل عن الصنعة ونزه عن التكلف) [11]. فكلامه صلى الله عليه وسلم كان يسوقه عن عفو خاطرٍ دون جهد أو عناء مما يجعله مألوفاً ومحبوباً يمتلك القلوب والألباب .وقد اتسم منطقه صلى الله بالبساطة والسهولة والوضوح والبعد عن التكلف .قال تعالى: (وما أنا من

[11] - الجاحظ، أبوعثمان عمر بن بحر، تحقيق عبد السلام هارون / البيان والتبين.- ط2.- مكتبة الخانجي، ج3.ص.42.

المتكلفين) [12]

وقد جاء على لسانه صلى الله عليه وسلم قوله : (أنا أفصح العرب بيد أني من قريش) ،وقبيلة قريش هي أفصح القبائل العربية لساناً لذا جاء القرآن الكريم على لسانها ،والبيت الهاشمي الذي ينتمي إليه الرسول صلى الله عليه وسلم ركن من أركان قبيلة قريش ،وقد استرضع صلى الله عليه وسلم في قبيلة سعد بن بكر المشهود لها بالفصاحة والبلاغة في البادية ، فانعكس ذلك كله على سليقته اللغوية فصار أفصح الناس لساناً ، وأرفعهم لغةً ، وقد زاد من سمو لغته صلى الله عليه وسلم نزول الوحي عليه ، فقال عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم (أدبني ربي فأحسن تأديبي) ،فعلت لغته صلى الله عليه وسلم على سائر لغة البشر ،وقد وصف ذلك الرافعي أحسن وصف فقال : (كأن الجملة تخلق من منطقه صلى الله عليه وسلم ، أو هي تنتزع من نفسه انتزاعاً [13]

فاللغة الفصحى والأسلوب اللغوي الفصيح والسياق اللغوي المبين فطرة فيه صلى الله عليه وسلم بلا تكلف وقد قالت بذلك الحميراء عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : (ما كان صلى الله عليه وسلم يسرد سردكم هذا ، ولكنه يتكلم بكلامٍ بينٍ فصل ، يحفظه من جلس إليه)[14]

فقد اتسمت ألفاظه صلى الله عليه وسلم بالسهولة ، ومعانيه بالعمق

[12] - الآية 86 من سورة ص.

[13]- الرافعي، مصطفي صادق الرافعي/أعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية-. دار الفكر العربي ، القاهرة، ص239.

[14] الترمزي، محمد بن عيسي السلمي/الشمائل المحمدية ، تحقيق/عبده كوشك -. مكتبة نظام يعقوبي الخاصة ، المنامة، ص146.

والجمال ، وسياقاته اللغوية بالوضوح والجلال ، يبدو كل ذلك في قالبٍ لغويٍ يستميل النفوس والألباب ، ففي أحاديثه صلى الله عليه وسلم تتجلى براعة الصياغ وحسن التراكيب ، فقد كان عليه الصلاة والسلام كما وصف :(يستعمل المبسوط موضع البسط، والمقصور موضع القصر، وقد بعد صلى الله عليه وسلم عن الغريب الحوشي ، ورغب عن الهجين السوقي ، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ، ولم يتكلم إلا بكلامٍ قد حفُ بالعصمة ، وشيَد بالتآييد ويسر بالتوفيق) [15] ،ففي أحاديثه تجلت الحكمة وهي حكمة النبوة النابعة من قلبٍ متصل بجلال خالقه فجرت الألفاظ والمعاني على لسانه في كلامٍ يكسوه الصدق والجلال والمهابة ،خالياً من التكلف المسجوع والتطويل الممجوج الذي يؤدي إلى سوء الفهم ومجانبة المراد في الكلام .

والناظر إلى سائر أحاديثه صلى الله عليه وسلم يجدها قمة في البلاغة والإعجاز، تتجلى فيها براعة السياق المتمثلة في ائتلاف الألفاظ والمعاني وانسجامها وملاءمة بعضها لبعض من حيث السبك والترتيب ، حيث تترتب الألفاظ في السياق وفق معانيها في بناءٍ لغوي رصين ،فقد كان صلى الله عليه وسلم كما وصف :(بالمحل الأفضل ، والموضع الذي لا يجهل ، مع سلاسة طبعٍ،وبراعة منزعٍ ، وإيجاز مقطعٍ، ونصاعة لفظٍ ،وجزالة قولٍ ، وصحة معانٍ ، وقلة تكلفٍ، فقد أوتي جوامع الكلم وخصُ ببدائع الحكم .....) [16]

[15]- الجاحظ / البيان النبين .- ج2 .ص .13.

[16] - القاضي عياض، أبو الفضل القاضي بن عباد بن موسى اليحصبي / كتاب شفا بتعريف حقوق المصطفى (ص) .- الرباط : دار الفكر للطباعة والنشر .-1409هـ ، 1988م ، الفصل الخامس.

ومن خلال هذا الأوصاف السابقة لكلامه صلى الله عليه وسلم تتبين لنا براعة التعبير النبوي في سائر أحاديثه عليه الصلاة والسلام والتي تعد المصدر الثاني من مصادر اللغة بعد القرآن الكريم.

استخلاص المعنى المراد في الحديث النبوي عن طريق السياق :-

للسياق أهمية بالغة في الدلالة على المعني المراد من الكلام ،فعن طريق السياق يعرف مراد المتكلم ،ولا يمكن فهم ذلك المراد بصورة دقيقة إلا بدلالة السياق ،فالسياق لغوياً كان أو غير لغوياً يعد مصدر القرائن التي تدل على المعنى في أي كلام ،وفي كل سياق يلتمس المتلقي القرينة التي تعينه على فهم المعنى في الكلام.

وقد جاءت الأحاديث النبوية في سياقات لغوية وغير لغوية متعددة ومتنوعة ما بين عقيدة وتعبد، نصح وإرشاد، توجيه وتهذيب، .....الخ ، وفي جميع هذه الأحاديث لعب السياق بشقيه اللغوي وغير اللغوي دوراً رئيساً في استنباط المعنى المراد وتحديده في أذهان المتلقين ، ولتأكيد ذلك الزعم الذي قامت عليه الدراسة نورد نماذجَ من أحاديثه صلى الله عليه وسلم للتدليل والتأكيد على دور السياق اللغوي في فهم معاني الحديث النبوي .

النماذج التطبيقية :-

1-قال صلى الله عليه وسلم:(والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل : ومن يا رسول الله ؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه) [17].

[17] - البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق جماعة من العلماء.- الطبعة السلطانية/ صحيح البخاري .- بولاد : المطبعة الكبرى الأميرية، 1311هـ، رقم الحديث 2022. ص. 945.

جاء هذا الحديث النبوي في سياقٍ لغويٍ دالاً على المعنى ، حيث رتبت الألفاظ في السياق وفق الدلالة على المعنى المراد من الكلام ،فتكرار الألفاظ في السياق الغاية منه التوضيح ، أما الاستفهام المكرر فالقصد منه لفت الانتباه للمراد من الكلام ،وجاء القسم المصاحب للألفاظ المكررة لترسيخ المعنى المراد وهو نفي الإيمان عن كل من لم يحسن إلى جاره أو من لم يسلم جاره من شروره.

اما عن السياق غير اللغوي أو المقامي ، فالمقام هنا مقام تربوي حيث أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يغرس قيمة تربوية في المجتمع المسلم تتمثل في الإحسان إلى الجار وكف الأذى عنه، وللتأكيد على أهمية هذه القيمة التربوية في المجتمع المسلم ربطها الرسول صلّى الله عليه وسلم بالإيمان في سياق لغوي اجتماعي دالاً على المعنى المراد من الحديث .

فاللغة التي جاء بها هذا الحديث لغة بسيطة سهلة الألفاظ واضحة المعاني ،تعانقت هذه الألفاظ مع تلك المعاني في سياق لغوي متين دالاً على المعنى بوضوح ،يستطيع أن يدركه المتلقي دون لبس أو غموض، فاللغة البسيطة ذات المعنى الواضح سمة من سمات منطقه صلى الله عليه وسلم، فيستطيع بتلك اللغة البسيطة أن يجسد المعنى ويرسخه في أذهان الناس ، (إن الناس إنما يكلم بعضهم بعضاً ليعرف السامع غرض المتكلم ومقصده) [18].وهكذا تبدو لغته عليه أفصل الصلوات وأتم التسليم في معظم أحاديثه تكسوها البساطة ويعلوها الوضوح فبيانه صلى الله عليه الله عليه وسلم بيان أفصح الناس منطقاً ، وأحسنهم مذهباً .

2-قال صلى الله عليه وسلم :(مثل القائم على حدود الله والواقع فيها،

[18] - الجرجاني/ دلائل الإعجاز / مرجع سابق. ص. 357.

كمثل قومٍ استهموا على سفينةٍ ، فأصاب بعضهم أعلاها وأصاب بعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا الماء مروا على من فوقهم فآذوهم ،فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا ولم نؤذ من فوقنا ،فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً)[19]

في هذا الحديث تتجلى روعة البلاغة النبوية وما حوته من وجوه الحسن والجمال ، فقد تنوعت الأساليب البيانية تنوعاً جعلها أكثر دقةً في تجسيد المعنى وتقريبه إلى أذهان السامعين ،فقد رسم لنا السياق اللغوي حال قومٍ بعضهم فبي أعلى السفينة والبعض الآخر في أسفلها ، والذين في أعلى السفينة كانوا على دينٍ وتقوى أما من كانوا أسفل السفينة فهم على غوايةٍ وضلال وارتكبوا المعاصي والموبقات ، فاذا لم يأخذ من كانوا في

أعلى بأيدي من كانوا بأسفلها غرقوا جميعاً، فأسلوب البيان المتمثل في تشبيه التمثيل الوارد في السياق جسد وشخص المعني فصار قريباً من الأذهان يدركه جميع الناس في سهولة ويسر، كما أضفي على السياق روعةً وجمالاً بعقد تلك المماثلة البديعة التي زادت المعنى بياناً ووضوحاً.[20]

ومن خلال نظم الألفاظ وتراكيبها في السياق يتجلى دور السياق المقامي المتمثل في (سياق الدعوة) ، فأراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يبين من خلال هذا السياق المقامي أهمية الدعوة في المجتمع المسلم ، قال تعالى :(كنتم خير أمةٍ أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن اهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم

[19] -البخاري/ نفس المرجع، 187.

[20] - الصابوني، محمد علي الصابوني / ط2. كنوز السنة، دار القلم ، 1986 ،ص.27.

الفاسقون)[21]، فالدعوة إلى فعل الخيرات والنهي عن فعل المحرمات ركيزة أساسية من ركائز المجتمع المسلم المعافي السليم.

فقد استطاع السياق بشقيه اللغوي والمقامي في هذا الحديث النبوي الشريف أن يجسد المعني ويعمقه في أذهان المتلقين عن طريق المماثلة والمقارنة بين الأضداد ، (فالضد يظهر حسنه الضد). فارتسم المعني وتجلي عن طريق تشبيه التمثيل في صورةٍ حسيةٍ ماثلة تدركها العقول وتألفها النفوس لما لها من روعةٍ وجمال وجلال .

3- جاء علي لسانه صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي : يقول الله عز وجل :(أنا عند حسن ظن عبدي بي ،وأنا معه حين يذكرني ، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ،وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خير منه ، إن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولةً)[22]

هذا الحديث القدسي تنزل معناه وحياً كسائر الأحاديث القدسية، وجرت ألفاظه على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبالنظر في سياق هذا الحديث يرى حسن اختيار الألفاظ وروعة نظمها في السياق ،وقد أخذت تلك الألفاظ بأعناق المعاني في تناسقٍ وتناغمٍ دالاً على القصد والمراد ، ومما زاد من وضوح المعني في هذا السياق ، هو ترتيب الألفاظ في السياق وفقاً لترتيب معانيها في الأذهان ، وهذه السمة الترتيبية للألفاظ وفق معانيها من سماته اللغوية صلى الله عليه وسلم ، كيف لا تكون سمةً من سماته عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم وهو الذي حوي اللغة بالإحاطة

[21]- الأية (110) من سورة آل عمران

[22]- البخاري/ صحيح البخاري / مرجع سابق، باب الأحاديث النبوية، ص.5653.

والتصرف والاستيعاب.

وعن طريق الكناية التي حواها السياق اللغوي انتقلت المعاني المعجمية لهذه الألفاظ إلى صورةٍ حسية ملموسة دلَ عليها السياق ، ويستطيع أن يدركها المتلقي بكل سهولةٍ ويسر لأنها صارت بفعل السياق من الوضوح والجلاء بمكان حيث يشير السياق إلى المقصود والمراد هو الطاعة والانقياد لأوامر الله سبحانه وتعالى ، فمن أتي الله من العباد مسرعاً بالطاعة كان الله بالثواب إليه أسرع ، والهرولة هنا دليلُ على سرعة الرحمة.

وقد ذهب بعض الشراح في شرح هذا الحديث ومنهم ابن التين إلا أن المعنى المراد والمقصود هنا :هو قرب الرتبة وتوفر الكرامة وهذا المقام هو مقام الصالحين من العباد (مقام العبودية) وهذا المقام لا يتحقق الا للعبد المخلص في عبادته ، فالسياق المقامي هنا مقام دعوه إلى اخلاص العبادة لله والحض عليها لبلوغ تلك المكانة والرتبة والقرب من الله عز وجلَ[23]، ومما يجدر الإشارة إليه هنا أن هذا الحديث من الأحاديث القدسية المتعلقة بصفات الله عز وجلَ فمثل هذه الأحاديث لا يدرك معناها بظاهر اللفظ لأن فهمها بظاهر اللفظ قد يؤدي إلى سوء الفهم وهذا لا يتناسب مع ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته ، وهنا يكمن دور السياق اللغوي في تحديد المعنى المراد والمقصود .

ويفهم أيضاً من السياق في هذا الحديث : ضرورة أن يحسن العبد الظن بالله ،ظن الإجابة عند الدعاء، وظن القبول عند التوبة، وظن المغفرة عند الاستغفار، وظن المجازاة عند فعل العبادة، فهذا كله مما يتناسب من

[23] - ابن قتيبة، أبو عبد الله محمد بن مسلم الدينوري/ تأويل مختلف الحديث.- المكتب الإسلامي/ مكتبة الأشراق،1419هـ ج1 ص 127.

الصفات الإلهية الواردة في الحديث والتي تفهم من السياق .

وهكذا جاء هذا الحديث القدسي على لسانه صلّى الله عليه وسلّم بعبارة فصيحةٍ بليغةٍ، فقد كان عليه الصلاة والسلام كما وصفه العقاد :(فصيح اللغة، فصيح اللسان ، فصيح الأداء ، كان فصيحاً مبلغاً على أساس ما تكون بلاغة الكرامة والكفاية ، وكان بلسانه وفؤاده من المرسلين) [24]

4- قال صلّى الله عليه وسلّم ، رواية عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما :(مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوُ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى)، عن طريق السياق اللغوي الرصين والدالّ على المعنى المراد صوّر لنا الرسول صلّى الله عليه وسلّم ما ينبغي أن يكون عليه المجتمع المسلم من المحبة والوحدة (كالجسد الواحد)، ولا يكون ذلك إلا بالمودة والرحمة والعطف ، وهنا تبدو الألفاظ في السياق مرتبةً وفق ترتيب معانيها في الأذهان ،وقد بدت المعاني كأنها صور حسية ماثلة للعيان ، فأساليب البيان الواردة في السياق من تشبيهٍ وغيره زادت المعنى وضوحاً وجلاءً

وفي هذا المقام أراد الرسول صلّى الله عليه وسلّم أن تسود في المجتمع روح التعاون والتكاتف فحضَ المؤمنين ودعاهم إلى ذلك بألفاظ بسيطة وواضحة لكنها أكثر دقةً وتصويراً للمعنى المراد وهو (حال المجتمع المترابط والمتماسك) والذي يشبه في تماسكه (الجسد الواحد)، فألفاظه على الرغُم من أنها موجزة إلا أنها جامعة للمعاني المقصودة على إيجازها

[24] -ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني/ فتح الباري بشرح البخاري ، المكتبة السلفية، مصر ، 1380ه، ج11 ص349.

واختصارها[25]، فقد امتلك عليه الصلاة والسلام أعناق الألفاظ وسخرت له المعاني ، واللغة تجري على لسانه حيث أراد فتأتي سياقاته اللغوية متناسقة الألفاظ والمعاني ،بديعة السبك مع جمالٍ وجلالٍ يسحر العقول ويستميل النفوس .

وفي هذا الحديث الشريف مزج الرسول صلّى الله عليه وسلّم الألفاظ بمعانيها في سياق تشبيهٍ غايةً في الروعة والجمال مع الدلالة على المعنى في وضوحٍ وبيان (صورة المجتمع / وصورة الجسد)، فالمجتمع هو الجسد ، والمودة والرحمة والعطف هن الأعضاء ، فإذا فقد المجتمع أيٍ من هذه القيم (التوادد ، التراحم ، والتعاطف) ،حتماً سيصاب في وحدته وتماسكه كما يصاب الجسد بالسهر والحمى نتيجةً لإصابة أحد أجزائه بعلةٍ أو مرض ، فأي تشبيهٍ أبلغ في وصفه ، وأي سياقٍ لغويٍ أدلَ على معناه ، أكثر مما جاء في هذا الحديث النبوي الشريف ؟ إنها لغته وبلاغته وفصاحته عليه الصلاة والسلام .

5- وتبرز أهمية السياق في فهم المراد من الحديث النبوي في قوله صلّى الله عليه وسلّم :(إذا جلس بين شعبها الأربع ثم جهدها وجب الغسل) وفي رواية أخرى (وإن لم ينزل)، متفق عليه [26]،فسياق الحديث يدل على المعنى بالكناية، والكناية سمة من سمات بلاغته عليه الصلاة والسلام، فقوله (شعبها الأربع) كناية عن المرآة ،وذهب البعض إلى أنّ الشعب هنا تعني

[25] -العقاد ، محمود عباس / عبقرية العقاد . دار الكتاب العربي ، القاهرة، 1996م، ص.291.

[26] -النووي ، أبو زكريا محيي الدين يحيي بن شرف/المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط2.- دار أحياء التراث العربي ، بيروت،ج4 ص32.

اليدان والرجلين وبعضهم قال :تعني الرجلين والفخذين ،وإلى غير ذلك من الأقوال ، وفي كل ذلك فهي تعني الموصوف المتمثل في (المرأة).

وقوله (جهدها) فهي تعني الجهد في العمل (مشقة الإيلاج) وذلك كناية عن (الجماع)، فالكناية هنا كست اللفظ ظلالاً لطيفةً فظهر في صورةٍ حسيةٍ مستحبة، فالسياق وما شمل من كنايات دلَ على المعنى المراد والمقصود في الحديث ، وهو وجوب الغسل ، فالمعنى واضح ومحدد غير قابل للتأويل أو الاجتهاد ،لأن الكناية حددت الحالة وكيفية وقوعها والبرهان على حدوثها[27]، وهذه صورة من صور بلاغة الكناية.

أما عن سياق المقام هنا ، فسياق الحديث يشير إلى وجوب الغسل إذا بلغ الإنسان ذلك المقام وإن لم ينزل كما في الرواية الأخرى ، فقد جسد سياق المقام في الأذهان الحكم (وجوب الغسل) ، بصورةٍ واضحةٍ تجلت فيها فصاحة اللسان وبلاغة البيان للرسول صلّى الله عليه وسلّم الذي عبر عن القبيح بألفاظٍ جميلةٍ مجاراة للعرب في أساليبهم البلاغية فقد كانوا يعبرون بالكناية عن القبيح باللفظ الجميل.

وهكذا فقد كان لأسلوب الكناية دورٌ مهمّ في رسم المعنى في أذهان المتلقين وتجسيده وتشخيصه في صورةٍ جميلة وبشكل جميل ومستحب يمنح السياق قوةً دلاليةً تزيد من وضوحه في الأذهان ،فقوله عليه الصلاة والسلام قولٌ فصلٌ لا فضول فيه ولا تقصير.

6-ومن الأحاديث النبوية التي حفلت بألوانٍ من التصوير الفني وروائع البيان وتجلّى فيها دور السياق اللغوي في فهم المعنى المراد في أبهى صورة من

[27] - ابن دقيق العبد، محمد بن علي بن وهب /إحكام الأحكام في شرح عمدة الأحكام ، دار عالم الكتب ، بيروت ، 1407هـ، ج1 ، ص144.

صوره : قوله صلّى الله عليه وسلّم :(مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو ، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مُر ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مُر) متفق عليه[28].

اتسمت الألفاظ الواردة في هذا السياق اللغوي للحديث بالبساطة والسهولة والوضوح (السهل الممتنع) وقد زاد من جمالها ووضوحها تنسيقها وترتيبها في السياق وفق ترتيب معانيها في النفوس والأذهان، فقد وضع التشبيه ألفاظ (المؤمن ، والكافر) بإزاء المعاني التي تحملها دلالات تلك الثمار المعروفة (الترنج ،التمر ،الريحانة ، والحنظلة)، فالأترجة ثمرٌ معروف يجمع بين طيب الطعم وحسن الرائحة ،أما التمرة فهي حلوة الطعم ولا رائحةَ لها ، والريحانة بخلاف التمرة لها رائحة ولا طعم لها ، أما الحنظلة فلا طعمٌ ولا رائحة لها، وقد جمع السياق كل هذه الثمار في صورة (المشبه به) لمشبهين هما (المؤمن والكافر) وربط بينهما بأداة التشبيه (مثل) في أسلوبٍ لغوي غايةً في الحسن والروعة والجمال.

وفي هذا المقام السياقي أراد الرسول صلّى الله عليه وسلّم أن يحض الناس على قراءة القرآن الكريم في سياق دعوي بهي الصورة جميل السبك واضح المعنى، كل كلمة مستدعاة فيه لا توجد غيرها كلمة أتم منها في أداء المعنى المراد من ناحية البيان ، وهذا ما نلمسه في سائر أحاديثه صلّى الله عليه وسلّم من حيث اتسامها بالسياقات الدالة على المعاني المقصودة مما

[28] -النسائي، أحمد بن شعيب/ السنن الكبرى . مؤسسة الرسالة، بيروت، 1421ه، ج1، ص 131.

جعلها أن توصف بأنها أكثر المدونات اللغوية جمالاً وكمالاً .

7- عن أبي موسى الأشعرى رضي الله عنه ،أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، قال : (إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً ، يبيع دينه بعرضٍ من الدنيا قليل)[29].

في هذا الحديث النبوي الشريف تعدّدت الأساليب البلاغية وتنوّعت ما بين بيانٍ وبديع فحوى السياق اللغوي صوراً من الاستعارة والتشبيه بالإضافة للطباق ، ففي قوله :(يدي الساعة) استعارةً مكنية حيث شبه صلّى الله عليه وسلّم الساعة بشيء له يدين (الإنسان أو غيره) وحذف ذلك المشبه به ورمز إليه بشيءٍ من لوازمه وهو (اليدين) على سبيل الاستعارة المكنية ، والجامع بين المستعار منه والمستعار إليه هو شدة القرب لدرجة الملازمة ، فسياق التشبيه أو الاستعارة دلَ على ذلك المعنى بوضوح بحيث أن الفتن الكثيرة وظهورها بين الناس دليلٌ على قرب قيام الساعة ، فهذه الفتن ملازمة لقيام الساعة كملازمة اليدين لصاحبهما ، فأي سياقٍ لغوي يفوق هذا السياق النبوي جمالاً ودلالةً على المعنى أكثر من سياقه هذا عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم؟. إنها لغة النبوة التي تعلو فوق لغة سائر البشر.

كما تتجلى روعة التعبير النبوي في هذا الحديث من خلال جمال الطباق

[29] - الأحوزي، عبد الرحمن الباركفوري/ تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي . مؤسسة الرسالة، لبنان ، 2015م، ص 158.

الوارد فيه المتمثل في (يصبح /ويمسي) فهو طباق بين فعلين، وكذلك الطباق بين الاسمين (مؤمن /وكافر)، فأسلوب البديع المتمثل في هذين الطباقين قد زاد السياق اللغوي أيضاً جمالاً ووضوحاً فالضد يظهر معناه الضد أكثر من غيره.

فالمقام هنا مقام تنبيه على دنوّ قيام الساعة فكثرة الفتن علامةً من علاماتها ، ولتوضيح ذلك للناس اختار عليه الصلاة والسلام من السياقات ما هو أفصحها لغةً واوضحها معنًى للتعبير عن المعنى المراد في هذا الحديث النبوي الشريف .

8-قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في الحديث الذي رواه عروة البارقي :(الخيل معقودٌ في نواصيها الخير ، الأجر والمغنم ، إلي يوم القيامة)[30].

جاء هذا الحديث النبوي الشريف في سياقٍ غاية في الإيجاز ، والإيجاز سمة من سماته في الكلام عليه أفضل الصلاة والسلام، والعرب بطبعهم ينزعون إلى الإيجاز في كلامهم وخير الكلام عندهم ما قلَ ودلَ، وبهذا السياق الموجز للحديث أكّد أن الخيل وسيلة لإدراك الخير وبلوغه ،لأن الخير معقودٌ بنواصيها ، والخيل خير معينٍ في الحرب (النصر والغنائم) ، وهي أيضاً مظهرٌ من مظاهر القوة وبشرى من بشريات النصر في المعركة، وجاء في القرآن الكريم في شأن الخيل والحروب قوله تعالى :(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين =من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوفى

[30] - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، مرجع سابق،ج6 ص55.

إليكم وأنتم لا تظلمون)[31].

وقديماً كانت من دواعي سرور العرب ،(يفرحون إذا ولد لأحدهم فرسٌ)، وذلك لأن الفرس حصنٌ من العدو ومنجاةٌ من المهالك ،لذا حضَ الرسول صلّى الله عليه وسلّم في هذا المقام على امتلاكها ، وذلك لما لها من منافع لمالكها ،فالسياق المقامي هنا (سياق دعوة وحض علي فعل شيء محمود) ، وقد صاغ صلّى الله عليه وسلّم تلك الدعوة بأسلوب موجز غايةً في الروعة والدقة ، يخلق في العقل والنفس معاً معنًى ودلالة ، فالسياق المشحون بالدلالات الموحية جعل المعنى أكثر وضوحاً وبياناً ، فقد كانت ألفاظه في الحديث قليلة ولكنها جمعت المعاني على إيجازها واختصارها[32]، فقد أوتي صلّى الله عليه وسلّم جوامع الكلم .

9-وقد روي عنه صلّى الله عليه وسلّم إنه مرَ بالمقابر فرأى امراةً تبكي صبياً عند قبرٍ من القبور فقال لها ناصحاً (اتقي الله واصبري)، فردت عليه قائلةً: إليك عنى، فأنك لم تصب بمثل مصيبتي، فلما أخبرت إنه الرسول عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم، ذهبت إليه في بيته فلم تجد عند بابه بواباً فاستأذنت عليه فأذن لها، فأخبرته صلّى الله عليه وسلّم : إنها لم تعرفه، فقال لها عليه الصلاة والسلام:(إنما الصبر عند الصدمة الأولي)ا[33].

---

[31] -الآية (60) من سورة الأنفال.

[32] -ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصر بن محمد ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، مرجع سابق ،ص 52.

[33] - البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل/ صحيح البخاري، مرجع سابق ،ج1 ، ص 438 (باب الصبر عند الصدمة الأولي).

في هذا الحديث النبوي الشريف بين الرسول صلّى الله عليه وسلم أهمية الصبر وقت وقوع المصيبة فلا ينبغي للإنسان أن يجزع بأي صورةٍ من صور الجزع المعروفة مثل النياحة أو لطم الخدود، أو شق الجيوب وغيرها ففي فعل كل ذلك دليلُ على عدم الرضا بقضاء الله وقدره، فعلى الإنسان أن يصبر الصبر الجميل ويقول (إنا لله وإنا إليه راجعون) امتثالاً لقوله تعالى :(الذين إذا أصابتهم مصيبةٌ قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون)[34] ، وفي قول ذلك اعتراف بالعبودية لله تعالى مما يستوجب الأجر من الله سبحانه وتعالى والإعانة على الصبر، ثم النسيان والسلوى لهذا المصاب الجلل بمرور الأيام فالسياق الذي ورد فيه الحديث قد دلَ على ذلك المعنى المراد المتمثل في الصبر وعدم الجزع وإظهار التبرم بقضاء الله وقدره، فمرتبة الكمال في الصبر تكون عند الصدمة الاولي، وهذا ما دلَ عليه السياق اللغوي في الحديث ، أما سياق المقام هنا فقد تمثل في أنّ المقام مقام نصحٍ وإرشاد لبلوغ الأجر والثواب فقد نصح الرسول صلّى الله عليه وسلّم تلك المرأة التي تبكي في القبر بالصبر الجميل حتى لا تجمع بين عظم المصيبة وضياع الأجر ، بأسلوبٍ بياني سلسٌ ومقبول رغم عظم المصاب ، فكلامه عليه الصلاة والسلام: (هو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة، وغشاه بالقبول، وجمع له ما بين المهابة والحلاوة .....)[35] .

10-كان الرسول صلّى الله عليه وسلّم في سياقاته اللغوية بليغ العبارة ، رصين الكلمة، مشرق الديباجة، قد أوتي فصل الخطاب، يأخذ كلامه بمجامع القلوب، لأنه سلس العبارة ، مطرد النظام، يأخذ بعضه بأعناق

[34] -الآية (156) من سورة البقرة.

[35] -الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر/ البيان والتبين، مرجع سابق، ج2 ص39.

بعض، نلمس ذلك كله في دعائه للميت عند الصلاة عليه، فيقول:(اللهم أغفر لحينا وميتنا، وشاهدنا وغائبنا، وصغيرنا وكبيرنا، وذكرنا وأنثانا، اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام ، ومن توفّيته منا فتوفه على الإيمان، اللهم لا تحرمنا أجره ولا تضلنا بعده)[36].

فالناظر إلى السياق اللغوي في هذا الدعاء للميت يرى انتقاء الألفاظ بدقةٍ فائقةٍ للتعبير عن المعاني المقصودة في تسلسلٍ وتدرجٍ لغوي رصين توزعت فيه المعاني على جوانب الصياغة اللغوية بصورة بديعة ، فالمعنى واضح وملموس من خلال السياق لا يحتاج إدراكه إلى كثير عناء ،وقد زاد السياق قوةً في السبك، وجمالاً في الأسلوب ووضوحاً في المعنى صور الطباق الواردة في السياق (حينا/ميتنا، شاهدنا /غائبنا، .....) فالمتلقي يحس بقرب صور الطباق من نفسه وذلك لأن كلامه عليه الصلاة والسلام من وحي الفطرة المألوفة للنفس البشرية، لذا نجد كلامه صلّى الله عليه وسلّم، تدركه الأفهام قبل الأسماع، وتتلقفه القلوب قبل الآذان.

وبما أن المقام هنا يتمثل في مقام الدعاء للميت جاءت ألفاظه عليه الصلاة والسلام بسيطةً ومنسابةً كانسياب الماء من المكان العلي ، دالة على معانيها بوضوحٍ في نسقٍ لغويٍ متين لا تنفك فيه الألفاظ عن معانيها ، وهذا ما يقتضيه السياق اللغوي لأي دعاء .

وهكذا يظل الحديث النبوي معجزةً لغويةً خالدة على مرّ الأزمان والعصور ومنبعاً للمزيد من الدراسات اللغوية في رحابه ، للوقوف على تراكيبه اللغوية الفريدة، وأساليبه البلاغية البديعة، وفي ذلك يكمن النفع للغة

[36] -الألباني، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني / صحيح سنن أبي داوود ،مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، 1423هـ، 2002م، ج1 ص 320.

العربية (زيادة رصيدها اللغُوي) من ذلك النبع اللغوي المتجدد عبر العصور المتعاقبة .

الخاتمة :-

الحمد لله والشكر لله على نعمة التوفيق والسداد في اكمال هذه الورقة البحثية الموسومة بعنوان "دور السياق اللغوي في فهم معاني الحديث النبوي"، وهدفت من إجراء هذه الدراسة نيل الأجر والثواب من الله عز وجلّ أولاً وذلك لما فيها من التعريف بجملةٍ من الأحاديث النبوية وشرحاً لمعانيها، بالإضافة إلى الفائدة العلمية المتمثلة في زيادة الإنتاج العلمي للمكتبة اللغوية العربية.

فأحاديثه صلّى الله عليه وسلّم هي بمثابة السفر اللغوي العظيم الذي إذا تناوله الباحث وجد فيه من صنوف التراكيب ، والأساليب البلاغية، العجب العجاب ،فألفاظه صلّى الله عليه وسلّم منتقاه ،ومعانيه متخيرة، وقد نظمت هذه الألفاظ وتلك التراكيب في أساليبٍ لغويةٍ قمة في الإعجاز ، فقد حوت تلك الأساليب اللغوية كل صنوف البلاغة والفصاحة والبيان ، مع صدق فني لا يتوافر عند غيره من أهل البلاغة.

فألفاظ الأحاديث النبوية العسجدية ومعانيها الدرية، تنبع من قلب نبيٍ ورسولٍ قلبه متصل بجلال خالقه ويصقلها لسانٍ صادقٍ جري القرآن الكريم عليه بحقائقه، فهو لا ينطق بكلامٍ إلا على هدي هذا القرآن الكريم تلك المعجزة اللغوية الخالدة والتي تحدى بها الله سبحانه وتعالى العرب لغوياً رغم فصاحتهم وامتلاكهم لناصية البيان.

ومن خلال هذه الدراسة والتي وقفت فيها على بعض النماذج من أحاديثه صلّى الله عليه وسلّم تجلى لي أن السياقات اللغوية التي وردت فيها الأحاديث

النبوية هي بمثابة المفتاح في الدلالة على المعاني المقصودة في تلك الأحاديث النبوية .

النتائج :-

بعد الدراسة والتحليل لسياقات هذه النماذج المختارة من الأحاديث النبوية توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج ، من أهمها :-

1-سمو ورفعة اللغة في الأحاديث النبوية الشريفة، فهي لغة في قمة البلاغة والفصاحة والبيان.

2-تميزت الأحاديث النبوية بعذوبة الألفاظ وحلاوة المعاني مع أسلوبٍ لغويٍ حوي وجوه الحسن والجمال.

3-يكسب السياق اللغوي باختلاف أنواعه المعنى في الحديث النبوي وضوحاً وبياناً .

4-اختيار الألفاظ في الحديث النبوي يقابله وضوحاً في المعاني ، لتجسيد الفكرة وتعميقها في ذهن المتلقي.

5- لا يمكن فهم دلالات ومعاني الأحاديث النبوية بمعزلٍ عن السياقات التي وردت فيها ،فالسياق ركنٌ أساسٌ في فهم المراد من الحديث النبوي.

التوصيات:-

مهما كثرت الدراسات اللغوية بمختلف تخصصاتها في رحاب الأحاديث النبوية. تظل أحاديثه عليه الصلاة والسلام بحاجةٍ إلى المزيد من البحث والتنقيب لسبر أغوارها ومعرفة ما حوت هذه اللغة من جمال ألفاظٍ وجليل معانٍ وسياقاتٍ حازت كل وجوه الحسن والجمال، وعليه توصي الدراسة بالآتي :-

1-إجراء العديد من الدراسات اللغوية في رحاب الأحاديث النبوية.

2-توجيه البحوث اللغوية نحو دراسة البنية اللغوية للحديث النبوي الشريف.

3- ربط الدراسات اللغوية بالدراسات التشريعية في رحاب الأحاديث النبوية بغية فهم المعني السليم وترسيخ الحكم المراد في أذهان المتلقين.

المصادر والمراجع :-

1- القران الكريم

2- ابن الآثير ، أبو الفتح ضياء الدين نصر بن محمد بن عبد الكريم/المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، مطبعة البابي الحلبي ، مصر ، 1955م.

3- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن يعقوب/أعلام الموقعين عن رب العالمين ، تحقيق/محمد عبد السلام هارون ، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1411ه/1991م.

4- ابن دقيق، محمد بن علي بن تقي الدين العبد/إحكام الأحكام في شرح عمدة الأحكام ،دار عالم الكتب ،بيروت، 1407ه.

5- ابن جني ، أبو الفتح عثمان بن جني /الخصائص ،تحقيق/محمد علي النجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ،1980م.

6- ابن قتيبة ، محمد بن عبد الله بن مسلم /تأويل مختلف الحديث ،مطبعة العاتي ، بغداد، 1397ه

7- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم /لسان العرب ، ط5 دار صادر، بيروت، 1414م

8- الأحوزي، عبد الرحمن المباركفوري / تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، لبنان ، 2015م.

9- الألباني ، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني /صحيح سنن أبي داوود ، مؤسسة غراس للطباعة والنشر والتوزيع ، الكويت

،1423ھ/2002م.

10- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل /صحيح البخاري، تحقيق جماعة من العلماء، الطبعة السلطانية ،المطبعة الأميرية الكبرى ببولاق ، مصر ،1311ھ.

11لترمزي، محمد بن عيسي السلمي /الشمائل المحمدية ، إخراج وتعليق/محمد أحمد حلاق ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت/لبنان ,د.ت.

12-الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ /البيان والتبين ، تحقيق: عبد السلام هارون ، المطبعة التجارية الكبري ، القاهرة ،1345ھ/1926م

13-الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن /دلائل الإعجاز ، تحقيق محمود محمد شاكر ، ط3 ،مطبعة المدني بالقاهرة_ دار المدني بجدة ، 1413ھ/1992م.

14-الخولي ، محمد علي الخولي /معجم اللغة النظري ، الجمعية المعجمية العربية ، مكتبة لبنان، بيروت ، 1982م.

15- الرافعي ، مصطفي صادق الرافعي /إعجاز القران والبلاغة النبوية-.دار الفكر العربي :القاهرة

16- الزمخشري ، جاه الله أبي القاسم محمود بن عمر / أساس البلاغة ، دار صادر ،بيروت ، 1430ھ.

17- الصابوني ،محمد علي الصابوني / من كنوز السنة ، ط3 ، دار القلم ، بيروت ،1989 م.

18- العسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني / فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، المكتبة السلفية ، مصر ، 1380ه.

19-العقاد ، محمود عباس العقاد / عبقرية العقاد ، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1996م

20- القاضي عياض، أبو الفضل بن عباد بن موسي /كتاب شفا بتعريف حقوق المصطفي-.دار الفكر للطباعة والنشر :الرباط ،1409ه.

21- النسائي ، أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب /السنن الكبرى-.مؤسسة الرسالة : بيروت،1421ه

22- سيبويه ، عمر بن عثمان بن قنبر /الكتاب: تحقيق عبد السلام هارون-.الهيئة المصرية العامة : القاهرة ، 1977م.

23- طارق النعمان /اللفظ والمعني بين الايدولوجيا والتأسيس المعرفي للعلم-.دار سبأ للطباعة والنشر :القاهرة ، 1994م.

24-عبد الفتاح بركاوي /دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث-.دار المنار للطباعة والنشر والتوزيع: سوريا ،1991م.

25-فندريس ، جوزيف فندريس / اللغة: ترجمة/ عبد الحميد الدواخلي ، ودكتور محمد القصاص : مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، 1950م.

26-مصطفي حميدة /نظام الارتباط والربط في الجملة العربية-.مكتبة لبنان :بيروت ، 1997م.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-ShareAlike 4.0 International (CC BY-NC-SA 4.0)